# نـــــــدوة الآداب

## تمثلات الحداثة في الرواية المغربية،
## أسئلة التحول والمغايرة

**أدارها عبد الحق لبيض**

نظّمتْ مجلة الآداب ـ بشخص مراسلها عبد الحق لبيض ـ وبالتنسيق مع «دار الرابطة المغربية*» ندوةً حول الرواية المغربيّة في التسعينات، وذلك يومين ٢١ و ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٧. وقد توزّعتْ أشغالُ الندوة في كُلٍّ من مدينتي الدار البيضاء والرباط. وترأس جلسة الدار البيضاء، التي احتضنَتها مقرُّ «الرابطة» هناك، القاصّ أحمد بوزفور. وترأس الجلسة الثانية، التي احتضنها «مركزُ تواصل الثقافات بالرباط**» الأستاذ موليم العروسي.

وقد شارك في هذه الندوة الشاعر إدريس الملياني (صدر له ديوان شعري مؤخراً بعنوان **في ضيافة الحريق**)، والناقد ميلود العثماني، والناقد محمد معتصم، والاستاذ عبد المالك كمو، والروائي شعيب حليفي (له ثلاث روايات منها **رائحة الجنّة**)، وعبد الحي مودن (باحث سياسي وروائي، له رواية **فراق في طنجة**)، ونجيب العوفي (ناقد أدبي وآخر ما كتبه: **مساءلة الحداثة**)، والشاعر والصحفي محمد الأشعري (رئيس اتحاد الكتّاب سابقاً، وصاحب رواية **جنوب الروح**)، والناقد الأدبي عبد الحميد عقّار (وهو الكاتب العام لاتحاد كتاب المغرب سابقاً)، والمفكّر سالم حميش (وقد صدرتْ له مؤخراً رواية **العلاّمة** عن دار الآداب اللبنانية)، والناقد سعيد يقطين (رئيس تحرير جريدة **الكاتب**. وآخر مؤلفاته كتابٌ بعنوان: **الرواية والتراث السّردي**)، والناقدة زهور كرام (لها رواية صدرتْ حديثاً بعنوان **جسد ومدينة**)، والنقّاد: عبد الفتّاح الحجمري، وخديجة مروازي، وبشير القمري، وعبد الرحيم علاّم (صدر له مؤخراً كتابٌ بعنوان **كينونة النصّ الروائي**)، وحسن حلمي، وصدوق نور الدين، وغانمي عبد الرحمن.

وقد أُدرجت في هذه الندوة، بجلستيْها، الروايات التالية: **شروخ في المرايا** (لعبد الكريم غلاّب)، **ومغارات** (لمحمد عزّ الدين التّازي). **والعلاّمة** (لسالم حميّش)، **وباب تازة** (لعبد القادر الشاوي)، **وجنوب الرّوح** (لمحمد الأشعري)، **وفراق في طنجة** (لعبد الحيّ مودن)، **والضوء الهارب** (لمحمد برّادة)، **ورائحة الجنّة** (لشعيب حليفي)، **والحجاب** (لحسن نجمي)، **ومدارج الليلة الموعودة ومدارج الليلة البيضاء** (وكلتاهما لموليم العروسي)، **وجسد ومدينة** (لزهور كرام)، **وملك اليهود** (ليوسف فاضل).

وقد حضر أشغال الندوة العديدُ من الفعاليات الإبداعية والثقافية المغربية. كما تابعها العديدُ من الصحفيين والمحطات الإذاعية والتلفزيونية بالمغرب.

---

* ـ نتقدّم بالشكر الى الأستاذ عبد المالك كمو، صاحب الدار على ما قدّمه لنا من مساعدات لإنجاح هذه الندوة، ونشكر أيضاً الأخوة العاملين بالدّار.

** ـ نشكر الاستاذ عبد الحي مودن صاحب المركز على مساعداته في إنجاح هذه الندوة.

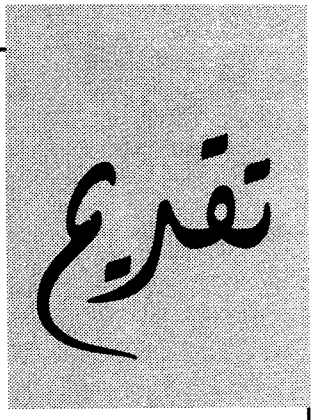

استطاعت الرواية المغربية، في السنوات الأخيرة، فرض نفسها داخل دائرة التلقي الأدبي في المغرب. فما صدر في السنوات الثلاثة الأخيرة وحدها يعادل ما كان يُنشر في حقبةٍ بأتمِّها. وتراهن الروايةُ المغربية، وهي تشرف على الانتقال إلى قرن جديد، على تحولات عميقة في مستوياتها البنيوية والموضوعاتية بفضل أسماء إبداعية جديدة/قديمة وَعَتْ قيمةَ سؤال الكتابة الروائية كأفق للتجاوز ونسف القيم التقليدية وارتياد مجاهل التغيير المستقرّ وفق اليات التنسيب والتشظّي والمساءلة المستمرة للذات والعالم. وان الرواية المغربية بهدا المعنى لَهِيَ صرةٌ ترصد عمق التحولات التي يشهدها المجتمع المغربيُّ في كافة نواحيه.

ورغم حداثة التجربة الروائية المغربية وتأخرها الزمني عن سياق التجربة الروائية العربية في المشرق العربي، فإنها تمكّنت ـ بكمِّها القليل بالمقارنة مع ما يُنشر في مصر والشام أو في تونس نفسها ـ من أن تصوغ أسئلتها الخاصة وتطرح إشكالياتها المتميِّزة وأن تفرز خصوصياتها وسط تراكمات الجنس الروائي العربي.

والحديث عن الرواية المغربية، إضافةً إلى ربطها بسياقها العربي والعالمي، يستوجب استحضار ذاكرة سردية تراثية محليّة كان لها دور في رسم معالم البدايات الأولى للنص الروائي العربي. فالرواية المغربية لم تكن وليدة علاقة تاريخية ووجدانية مع الشرق العربي أو تواصلٍ مفروضٍ مع الإبداعات الروائية الغربية وخصوصاً الفرنسية منها، فحسب، وإنما هي نتاجٌ أيضاً لسلسلةِ «التطورات التي عرفها النثرُ ابتداء من جنس الرحلة الذي عمّر ما بين العشرينات ومنتصف الثلاثينات، مروراً بالقصة القصيرة التاريخية من نهاية الثلاثينات إلى منتصف الأربعينات، فالسيرة الذاتية ممثلة في **الزاوية** للتهامي الوزاني، فالروايات القصيرة التاريخية وخاصة منها **الجاسوسة السمراء** و**شقراء الرِّيف** و**غادة أصيلا** و**الرومية الشقراء** لعبد العزيز بنعبد الله و**وزير غرناطة** لعبد الهادي بو طالب*».

ولهذه الدواعي كان لا بد عند الحديث عن الرواية من استحضار تفاعلات هذه الذاكرة السردية، من أجل محاورة طبيعة النصوص الروائية المغربية والكشف عن خصوصياتها البنائية والدلالية. إننا، إذن، بحاجة، راهناً، إلى تمثُّل هذه المرجعية واستجلاء ملامحها وإعادة صوغ إشكالياتها ضمن قراءات نقدية تستجيب للمتغيّرات العديدة التي أفضت إلى إبراز وعي جديد بتشكل جنس الرواية وديناميةِ أشكاله ومتغيّراتها. «ويمكن، بصفة عامّة، أن نستخلص أيضاً أنّ تكوّن الرواية المغربية قد ارتبط بأنماط تفكير معيّنة وبجدلية الحركة السوسيوثقافية، وخاصة ببداية تشكل وعي ايديولوجي استطيقي متأرجح بين قيم الماضي ومستلزمات الحاضر، متردّدٍ في الشروع في حوار صريح مع 'الآخر'»**.

قد تكون هذه المعطيات هي ما حرّكنا في اتجاه التفكير في إنجاز ندوة حول «تمثلات الحداثة في الرواية المغربية: أسئلة التحوّل والمغايرة». غير أن السؤال الأساسي الذي يظل قائماً هو: إلى أي حدّ يمكن أن تفيد مثل هذه الأسئلة الكبرى في فهم التغيرات العميقة داخل جسد النصوص الروائية المغربية؟

إن سؤال الحداثة، في اعتقادنا، سؤال ملتبس وغالباً ما يفضي بمعتنقيه إلى الآفاق المسدودة التي تظلّ هائمة داخل التنظيرات والتقعيدات. ذلك لأن هذا السؤال يظلّ مرتبطاً بسياقه الثقافي الغربي، ومن ثمة يصعب على الدارس لهذا السؤال في الرواية المغربية، التي تنتمي إلى خصائص ومقوّمات مجتمع مختلف، أن يصل إلى نتيجة محدّدة. ولا يعود السبب في ذلك إلى أن الرواية المغربية لا تتمثل الحداثة في شكلها وعلاقاتها، أو لأن السياق الثقافي المغربي لا يدعم ولا يرجّح هذا السؤال في علاقته بالرواية، بل لأنّ قراءة هذا السؤال تتمّ في ظلّ تغييب كلّي لتلك الذاكرة التي تحدّثنا عنها. فما يهمّنا حين نتعامل مع النصوص الروائية المغربية هو البحث عن آفاق اهتزاز القيم وتفاقم الشك وتنسيب المطلقات التي تراهن عليها في علاقتها بموروثها الثقافي والسردي المحلي والقومي على السواء. ومن هنا جاءت تلك

* أحمد اليبوري: **ديناميّة النّص الروائي**. الرباط، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ١٩٩٣، الطبعة الأولى، ص ٣٢.

** المرجع نفسه، ص ٢٦.

الإضافة التي وضعناها إلى جانب عنوان الندوة، وهي إضافة أساسية بل تعتبر عصب موضوع الندوة: «أسئلة التحول والمغايرة». فالتحوُّل والمغايرة لا يمكنهما أن يتمّا إلا في إطار مساءلةِ تراكمٍ سابق تسعى الإنتاجاتُ الروائية التي تنتمي إلى عقد التسعينات بالتحديد، إلى تجاوزه ومساءلته النقدية والمعرفية...

إنّ هذه الندوة تتوخى خلق نوع من التفكير في قضايا الرواية المغربية الجديدة، والبحث ـ من خلال دراسات ونقاشات مفتوحة بين النقاد وكتاب هذه الروايات ـ عن آلياتٍ دقيقةٍ لفهم طبيعة النص الروائي المغربي بناءً ودلالةً، واقتراحِ تصوّرات تتماشى وخصوصيةَ هذا النَّص المحمّل بالأسئلة العنيفة: أسئلة الذات والكينونة والواقع. وقد تحكّم في اختيارنا للنماذج الروائية المدرجة في أشغال الندوة الأبعادُ التالية:

ـ البعد الزمني: حدّدناه في الإنتاجات الصادرة في العقد التسعيني بالتحديد.

ـ البعد الفني: ويتمثّل في اعتقادنا بأن هذه النصوص تمثّل تقريباً مجملَ التنويعات والاتجاهات الفنيّة في الرواية المغربية راهناً.

ـ بُعْد المجايلة: حاولنا أن ننوّع فيه بين ثلاثة أجيال تقريباً. مثّلْنا فيه الجيلَ المؤسِّس بالأستاذ عبد الكريم غلاب الذي يُعَدّ من المؤسسين الأوائل للرواية المغربية الذين ما يزالون حاضرين في المشهد الإبداعي بإنتاجاتهم الروائية والقصصية رغم امتلاء الساحة الابداعية في المغرب، اليوم، بكتّاب حُدد لهم قناعات جديدة ورؤى مغايرة لمفهوم الكتابة ووظيفتها. وكان السؤال الذي نبغي طرحه من خلال إدراج رواية **شروخ في المرايا** هو: إلى أي حدّ تتصادى هذه الرواية ـ بمكوّناتها ومتخيلها وعوالمها ورؤاها ـ مع التجارب الروائية الجديدة لكتّابٍ شباب؟ ثم إنّ فترة السبعينات تُعتبر أساسية في مسار التجربة الروائية المغربية لما طرحته من أسئلة ترتبط بالذات والكينونة والهوية والتجريب والتجاوز. ولذا كان لزاماً أن نمثّل لهذه المرحلة باسمٍ ابداعيٍ وازنٍ وهو الأستاذ محمد عز الدين التازي باعتباره أحد أعلام هذه الفترة. وحاولنا أن نتعرّف من خلال روايته **مغارات** على الامتدادات والتقاطعات التي تُحْدثها هذه التجربة مع تجربة الرواية الجديدة، روايةِ كتّابٍ بدأوا يستثمرون مفاهيم جديدةً للكتابة والذات والهوية؛ وأذكر من بينهم: محمد برّادة، وعبد الله العروي، وميلودي شغموم، ومحمد الأشعري، وسالم حميّش، وعبد القادر الشّاوي، وشعيب حليفي، ومواليم العروسي، وعبد الحي مودن.

ـ بعدُ تنوع الاهتمام: وقد أردجنا فيه كتابات مواليم العروسي باعتباره واحداً من النقاد المهتمين بعالم الجماليات والتشكيل، ومحمد الأشعري باعتباره شاعراً، والصفة ذاتها بالنسبة لحسن نجمي، وعبد الحي مودن كمحلّل ومهتمٍّ بالعلوم السياسية والقانونية والانتروبولوجية، وسالم حميش باعتباره فيلسوفاً ومفكّراً. ولقد كان السؤال الرئيسي هو: ما هي أهمّ الاضافات التي أغنى بها هؤلاء التجربةَ الروائية المغربية. وبكلمات أخرى كيف استطاع الشعرُ والفكرُ والسياسةُ أن تُثْري القيم الجماليةَ والعوالمَ التخيليةَ والدلاليةَ للنص الروائي المغربي؟

هذه جملة أبعاد تحكّمتْ في اختيارنا للمتن الروائي المغربي المقترح في هذه الندوة، وهي لا تلغي، ولا تَعْمد إلى أن تقصي، نصوصاً روائية مغربية أخرى نشهد على وضعها الاعتباري المتميّز ضمن المشهد الروائي المغربي، وفي طليعتها نصوص: عبد الله العروي، ومحمد زفراف، ومحمد شكري، وميلودي شغموم، ومحمد الدغمومي، وآخرين... وهي نصوص تحتاج بدورها إلى دراسات عميقةٍ وجادةٍ. غير أنّ ندوتنا لا يمكنها أن تدرج كلَّ هذه النصوص لاعتبارات معروفة، بل يكفيها أنها جاءت لتلقي بعض الأسئلة وتكشف عن بعض الهواجس المرتبطة بجنس الرواية، علّها تنجح في تأهيل الوعي بالرواية المغربية وبقضاياها المتجدّدة دوماً، وفي تقديم مادة نقدية قد تفيد النقد الروائي العربي في مساراته اللاحقة.

عبد الحق لبيض

مراسل مجلة **الآداب** في المغرب